الباب الأول

العسكرية الإسلامية
وأخلاقيات الحرب في الإسلام

الفصل الأول : الرد على أكذوبة انتشار الإسلام بالسيف

الفصل الثاني: القيود الأخلاقية التي وضعها الإسلام في الحروب

الفصل الثالث: مميزات العسكرية الإسلامية عن غيرها من المدارس القتالية

الفصل الرابع : العقيدة العسكرية الإسلامية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

الرد على أكذوبة انتشار الإسلام بالسيف [1]

هناك أكذوبة كثيرًا ما يرددها أعداء الإسلام، ومفادها أن الرسول ﷺ -والمسلمون من بعده- نشروا الإسلام بحد السيف، وأن معتنقي الإسلام لم يدخلوا فيه طواعية ولا اختيارًا، وإنما دخلوا فيه بالقهر والإكراه.

والحقيقة أن جوهر الإسلام وخبر التاريخ ليكذبان هذه الفرية، ويستأصلونها من جذورها.. فمن أهم القواعد التي حرص عليها رسول الله ﷺ في حياته هي قاعدة: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فلم يأمر الرسول ﷺ - والمسلمون من بعده- أحدًا باعتناق الإسلام قسرا، كما لم يُلجؤوا الناس للتظاهر به هربًا من الموت أو العذاب؛ إذ كيف يصنعون ذلك وهم يعلمون أن إسلام المُكرَه لا قيمة له في أحكام الآخرة، وهي التي يسعى إليها كل مسلم؟!

وقد جعل الإسلام قضية الإيمان أو عدمه من الأمور المرتبطة بمشيئة الإنسان نفسه واقتناعه الداخلي، فقال سبحانه: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [الكهف: ٢٩] ولفت القرآن نظر النبي ﷺ إلى هذه الحقيقة وبيَّن له أن عليه تبليغ الدعوة فقط، وأنه لا سلطان له على تحويل الناس إلى الإسلام فقال: ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩] وقال: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ﴾ [الشورى: ٤٨] ومن ذلك يتضح أن دستور المسلمين يرفض رفضًا

(١) جريدة الوسط الكويتية – معارك إسلامية خالدة – الحلقة ١ " شعوب الأرض دخلت الإسلام طواعية.. والأعداء رددوا أكذوبة انتشاره بالسيف" –عرض / ربيع سكر – ٩ يوليو ٢٠١٣ ... نقلا عن كتاب (أخلاق الحروب في السنة النبوية) للدكتور راغب السرجاني.

قاطعًا إكراه أحد على اعتناق الإسلام.

وتطبيقًا لهذه الحقيقة فقد ثبت أن المسلمين أسروا في سرية من السرايا سيد بني حنيفة: ثمامة بن أُثال الحنفي، وهم لا يعرفونه، فأتوا به إلى رسول الله ﷺ فعرفه وأكرمه، وأبقاه عنده ثلاثة أيام، وكان في كل يوم يعرض عليه الإسلام عرضًا كريمًا فيأبى، فما كان من النبي ﷺ إلا أن أطلق سراحه. فانطلق ثمامة إلى نخل قريب من المسجد؛ فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. لقد تأثر ثمامة بأخلاق رسول الله ﷺ ورحمته فأسلم دون ضغط أو إكراه، وهكذا كان إسلام كل من أسلم في تاريخ الدعوة.

وعقلًا فإن من أُكرِه على شيء لا يلبث أن يتحلّل منه إذا وجد الفرصة سانحة لذلك، بل ويصبح حربًا على هذا الذي أكره عليه، إلا أن التاريخ لم يُثبت مثل هذا، وإنما رأينا أن الذي يسلم لا يتوانى ولو للحظة واحدة - في الدفاع عن الإسلام بكل ما يملك.

ثم لينظر المتشككون وأرباب الشبهات إلى الإحصائيات الرسمية الحالية لأعداد الذين يعتنقون الإسلام، والتي تدل على أن عدد المسلمين في ازدياد مستمر، على الرغم من كل ماينالهم من اضطهاد وما يتعرضون له من عوامل الإغراء!! فهل أكرهنا الأوربيين والأمريكيين واليابانيين وغيرهم على دخول الإسلام؟! إن ما حدث معهم هو الذي حدث مع كل من أسلم في تاريخ الإسلام. إن القوة الحقيقية للإسلام داخلية ذاتية. إنه دين الفطرة الذي يُقنع أي باحث صادق، ويعجب أي قارئ محايد.

وأيسر من أن نستقصي الحروب وأسبابها في صدر الإسلام لنعي تلك الحقيقة، أن نلقي نظرة عامة على خريطة العالم في الوقت الحاضر لنرى الشعوب التي دخلت في الإسلام دونما حرب أصلًا. إن السيوف لم تحمل بتاتًا في إندونيسيا وماليزيا والهند والصين، وسواحل القارة الإفريقية، وما يليها من سهول الصحاري الواسعة؛ ومع ذلك فأعداد المسلمين فيها هائلة !

ولو كان هناك إكراه على الإسلام فكيف نفسر بقاء المسيحيين واليهود والوثنيين وأشباه الوثنيين إلى الآن في داخل معظم بلاد العالم الإسلامي!!

أما تشريع الجهاد في الإسلام، فلم يكن لقهر الناس أو لإجبارهم على اعتناق الإسلام،

وإنما كان لتحرير الإنسان وتحييد القوى الظالمة التي قد تحول بينه وبين الإسلام.

فالإسلام -إذن- إنما غزا القلوب، وأسر النفوس.. وإن كان بإمكان السيف أن يفتح أرضًا.. فليس بإمكانه أبدًا أن يفتح قلبًا!!

إن الإسلام لا يحتاج -لتكثير أتباعه- إلى قسر الإرادات، وحملها على اعتناقه عُنوة، بل هو منهج واثق من نفسه، ومن نفاذه إلى القلوب الحية المتجردة للحق، التي متى زالت الحوائل بينه وبين النفاذ إليها وَقَرَ الإيمان في سويدائها، وخَرَّ أصحابها ساجدين لعظمة الإله الحق. قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦، ١٠٧].

- تطبيقات نبوية:

مع حرص رسول الله ﷺ الشديد على الوصول برسالته إلى الناس، ومع حبه العميق لأيانهم، إلا أنه ما فكّر -ولو لمرة واحدة- في حياته على إكراههم على الإسلام. ظهر ذلك في كل مواقف حياته، وكذلك في كل مكاتباته وعهوده..لقد كتب رسول الله ﷺ إلى أهل الكتاب من أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، ويبين لهم معالمه فيما رواه عروة بن الزبير- فكان في رسالته: «.. وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين: له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُفتَن عنها...». كذلك كتب ﷺ لأهل نجران عهدًا طويلًا جاء فيه: «.. ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمة محمد النبي على أنفسهم ومِلَّتِهِمْ وأراضيهم... وألا يُغَيَّرُوا مما كانوا عليه، ولا يُغَيَّرَ حقٌّ من حقوقهم ولا مِلَّتِهِمْ، ولا يُغَيَّرَ أُسقف عن أُسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا وافه عن وافهيته.

إن هذا الأمر واضح تمام الوضوح لكل من درس السيرة من مصادرها الموثَّقة، ومراجعها الدقيقة. بل أعظم من ذلك أنه لم يكن يُكره أحدًا على الإسلام حتى بعد التمكن منه في حرب أو أسر أو غيرهما. وما أروع موقفه ﷺ مع أعرابي خطط لقتله! ﷺ فإن رسول لله ﷺ له مواقف تقترب من الخيال مع مَنْ قاتله وحاربه السنين الطوال!! إنه

المبدأ الأصيل الذي لا خروج عنه: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك موقفه مع صفوان بن أمية، الزعيم القرشي الشهير!

كان أبوه من أشد المعاندين للرسول ﷺ، ومن الذين قُتِلُوا في بدر، وورث صفوان بن أمية هذه الكراهية من أبيه للإسلام والمسلمين، وحارب الرسول ﷺ بكل طاقته، دبَّر محاولة لقتل الرسول ﷺ، وكانت هذه المحاولة بينه وبين ابن عمه عمير بن وهب، وكان وقتها لا يزال كافرًا.. وفيها تعهَّد صفوانُ بن أمية لعمير بن وهب أن يتحمل عنه نفقات عياله، وأن يسدِّد عنه دَيْنه، في نظير أن يقتل عميرٌ رسول الله ﷺ..!! إلا أن المحاولة فشلت، وذلك عندما أسلم عمير بن وهب ﷺ- في المدينة المنورة بعد أن أخبره الرسول ﷺ بما دار بينه وبين صفوان في حجر الكعبة!!

ومرَّت الأيام، وجاء فتح مكة، وهُزم المشركون، وفرَّ صفوان بن أمية، ولم يجد له مكانًا في مكة المكرمة، وعلم أنه لن يُسْتَقْبَلَ في أي مكان في الجزيرة العربية؛ فقد أصبح الإسلام في كل مكان، فقرر أن يُلقي بنفسه في البحر ليموت! فخرج في اتجاه البحر الأحمر ومعه غلام اسمه يسار، حتى وصل إلى البحر، وهو في أشد حالات الهزيمة النفسية، ورأى صفوان من بعيد أحدَ الرجال يتتبعه، فخاف، وقال لغلامه: ويحك انظر من ترى؟ قال الغلام: هذا عمير بن وهب. فقال صفوان: وماذا أصنع بعمير؟! والله ما جاء إلا ليريد قتلي، فهو قد دخل في الإسلام وقد ظاهر محمدًا عليَّ.

ولحق عمير بن وهب ﷺ- بصفوان بن أمية، فقال له صفوان: يا عمير ما كفاك ما صنعتَ بي؟ حمَّلتني دَيْنَك وعيالَكَ، ثم جئتَ تريد قتلي؟! فقال: أبا وهب، جُعِلْتُ فِدَاكَ! قد جِئتُكَ من عِنْدِ أبَرِّ الناس، وأوصل الناس. لقد رأى عمير بن وهب ابن عمه وصديقه القديم صفوان يهرب من مكة فَرَقًّ له، وأشفق عليه، فأسرع إلى رسول الله ﷺ، وقال له: يا رسول الله، سيد قومي خرج هاربًا ليقذف نفسه في البحر، وخاف ألا تُؤَمِّنَهُ، فداك أبي وأمي. فقال الرسول ﷺ: «قَدْ أَمَّنْتُهُ»!! هكذا!! دون شرط ولا قيد!!

ولننظر إلى هذا العرض السخي من رسول الله ﷺ، فلو أسلم صفوان لانتهت القضية، وأصبح له ما للمسلمين، وعليه ما على المسلمين، وإن أراد أن يأخذ شهرين كاملين يفكر فيهما فهو في أمان! وتذكَّر أننا نتحدث عن رجل طالما حاول أن يستأصل المسلمين من جذورهم!

فرجع صفوان بن أمية مع عمير بن وهب إلى رسول الله ﷺ، ودخل الحرم، والرسول ﷺ يصلي بالناس صلاة العصر فوقفا سويًا، حتى ينتهي الرسول ﷺ من الصلاة، فقال صفوان لعمير بن وهب: كم تُصلون في اليوم والليلة؟ قال: خمس صلوات. قال: يصلي بهم محمد؟ قال: نعم.

فلما سلم الرسول ﷺ وانتهى من صلاته، صاح صفوان يخاطب النبي ﷺ من بعيد: يا محمد، إن عمير بن وهب جاءني بعمامتك، وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك، فإن رضيتُ أمرًا وإلا سَيَّرْتَني شهرين. فقال ﷺ في رفق وسهولة: «انْزِلْ أَبَا وَهْبٍ».. (وانظر إليه يُكَنِّيهِ ويَتَلَطَّفُ إليه!).. فقال صفوان في خوف: لا - والله - حتى تُبيِّن لي!! فقال الرسول ﷺ: «بَلْ تَسِيرُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ»!

وبالفعل أطلق الرسول ﷺ صفوان بن أمية أربعة أشهر كاملة ليفكر.. !! إنه لم يخطر على بال رسول الله ﷺ لا من قريب ولا من بعيد أن يُكرِه صفوان أو غيره على الإسلام، لا لشيء إلا لأن ذلك ليس من الإسلام. فليس ضعف صفوان ولا قوة الإسلام بمبرراتٍ تسمح بمزاولة الضغط على إنسان لتغيير عقيدته.

وبَعْدُ، فهذا غَيْضٌ من فيض أخلاق الرسول ﷺ في حروبه مع المشركين التي لا تُقارَن بأخلاق قادة العالم في كل مكان وزمان. إن أخلاقه ﷺ لا تُوصف إلا بأنها أخلاق أنبياء، فذلك أصدق وصفٍ لها، وكفى.

وصدق الله العظيم إذ يقول في وصفه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

- شهادة غربية :

يقول المؤرخ الفرنسي- جوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب): «إن القوة لم تكن عاملًا في نشر القرآن، وإن العرب تركوا المغلوبين أحرارًا في أديانهم، والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم، وقد أثبت التاريخ أن الأديان لا تُفرض بالقوة، ولم ينتشر الإسلام - إذن بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قَهَرت العرب مؤخرًا كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند - التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل - ما زاد

عدد المسلمين إلى خمسين مليون نفس فيها.. ولم يكن الإسلام أقل انتشارًا في الصين التي لم يفتح العرب أي جزء منها قط..».

ويقول جورج سيل: «ومن قال إن الإسلام شاع بقوة السيف، فقوله تهمةٌ صرفة؛ لأن بلادًا كثيرة ما ذُكر فيها اسم السيف، وشاع الإسلام».

ويقول الكاتب الغربي الكبير توماس كارليل صاحب كتاب (الأبطال): «إن اتهامه -أي رسول الله ﷺ- بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخفٌ غير مفهوم؛ إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجلٌ فردٌ سيفَه ليقتل به الناس، أو يستجيبوا له، فإذا آمن به من لا يقدرون على حرب خصومهم، فقد آمنوا به طائعين مصدقين، وتعرضوا للحرب من غيرهم قبل أن يقدروا عليها».